مجلة علمية يصدرها مركز دراسات الخليج العربي / جامعة البصرة ـ الجمهورية العراقية

التهديد العماني ... (١)

ونتائجه في أواخر القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر ...

د . لورنس لوكهارت(٢)
ترجمة : علاء الدين احمد حسين
جامعة البصرة

لعبت عمان دورا كبيرا في تأريخ الخليج العربي(٣) والبحر العربي وأثرت تأثيرا بالغا على مجرى الاحداث في شرق افريقيا وشواطىء الهند الغربية . وترجع اهميتها هذه الى حد ما ، الى موقعها الاستراتيجي المهيمن على مداخل الخليج العربي وامتلاكها احد الموانىء الجيدة التي تفتقر اليها جزيرة العرب ، اضافة الى روح الجراة والمغامرة التي اتسم بها حكام عمان وسكانها .

ان البرتغاليين ، بقيادة البوكيرك Albuquerque (٤) ، ادراكا منهم لامكانيات عمان

---

(١) لقد عمد كاتب البحث الى ان يطلق اسم (مسقط) عند حديثه عن تاريخ (عمان) بدلا من اسم (عمان) نفسها ، وهو كاوربي ينطلق من زاويته الضيقة في هذا المضمار . من هذا المنطلق ، ولاعتبارات قومية وتاريخية بل وحتى لاعتبارات السياق الضمني للمعنى العام للنص ، فقد آثرت على ترجمتها كما جاء اعلاه . (المترجم)

(٢) ولد البروفسور لورنس لوكهارت
Prof. Laurance Lockhart
في انكلترا في العقد الاول من هذا القرن . نال شهادة الدكتوراه من جامعة كمبرج Cambridge University في اطروحته الموسومة « نادر شاه » ، التي نشرت في لندن عام ١٩٣٨ . وتعد هذه الاطروحة بحق من خيرة اعماله . كما وافلح بعد عشرين عاما في نشر كتاب آخر وسماه سقوط السلالة الصفوية
The Fall of Safawi Dynasty
وله كتاب ثالث موسوم بـ « المدن الفارسية »Persians« Cities كما ونشر ابحاث عديدة في امهات المجلات العلمية والعالمية وعملا ردحا من الزمن استاذ للدراسات الفارسية في جامعة كمبرج . ولعله من المفيد ذكره ان كاتب البحث هذا يجيد الفرنسية والفارسية علاوة على لغته الام ، اعني الانكليزية وقد نشر هذا البحث في مجلة Asiatic Review: No. 42: 363-369, O. 1946

(٣) لاعتبارات قومية وسياسية بل وحتى منطقية فقد اطلقت على الخليج كلمة (الخليج العربي) بدلا من (الخليج الفارسي) الذي دأب كاتب البحث على لصقها بخليجنا. (المترجم)

(٤) يحتل البوكيرك موقعا مهما في تاريخ الاستعمار البرتغالي في اسيا لقد سطع اسمه اولا عام ١٥٠٣ عندما عهد اليه مهمة قيادة قسم من الاسطول البرتغالي ضد الموانىء العربية في البحر الاحمر والخليج العربي . لقد قام بعدة غارات عليها ونجح في تدمير ونهب وحرق عدد كبير من السفن التجارية العربية . ومن ثم اقتحم الخليج العربي وزرع الموت والخراب على ساحل عمان ثم هاجم ميناء هرمز عام ١٥٠٧ واستطاع فرض الهيمنة والسيادة البرتغالية على كافة موانىء الخليج العربي وبعد ذاك بوقت قصير نجح في الاستيلاء على ميناء غوا Goa الواقع على الساحل الشمالي الغربي من الهند ، والذي اتخذ منه قاعدة للتوسع البرتغالي في الهند وشرق اسيا . وفي عام ١٥٠٩ اصبح البوكيرك حاكم الهند او نائب ملك البرتغال في الهند وبقي في منصبه هذا حتى وفاته عام ١٥١٥ . وداب طيلة كل هذه الفترة بجهود لاتعرف الملل او الكلل على تثبيت النفوذ والسيطرة البرتغالية في سواحل آسيا . (المترجم)

فقد قاموا في عام ١٥٠٧ باحتلالها وتحصينها تحصينا محكما، على اثر احتلال الاتراك المؤقت لها في اواسط القرن السادس عشر خاصة . ورغم تحصينات البرتغاليين القوية تلك ، فان معنويات قواتهم ونشاطهم دب بها الضعف في النصف الاول من القرن السابع عشر ، وما ان حل كانون الثاني عام ١٦٥٠ حتى نجحت قوات امام عمان سلطان بن سيف الاول (١٦٤٩ ـ ١٦٦٨) في احتلالها بعد ان سبق لها طرد البرتغاليين من صحار(٥) واماكن اخرى على الساحل العماني .

لقد شهدت عمان في ظل حكم سلطان بن سيف عهدا زاهرا حيث وضعت في عهده بذور التوسع المفاجيء والمذهل الذي اعطى ثماره بعد فترة وجيزة . وفي خلال امامته أدرك كل من الانكليز والفرنسيين اهمية مسقط الاستراتيجية ، ولهذا فقد وضعت رئاسة شركة الهند الشرقية الانكليزية في سوارت عام ١٦٥٩ خطة ترمي الى ضمان إمتلاكهم لمسقط . فاذا اصبح هذا الميناء في متناول قبضتهم فانه سيتيح لهم الحصول على قاعدة امينة لسفنهم الامر الذي سيساعد بدوره على انعاش تجارتهم في ساحل الهند الغربي اضافة الى تقوية مركزهم في الخليج العربي ، حيث كان منافسوهم الهولنديون قد استأثروا مؤخرا بنصيب وافر من تجارتهم . وعيله سوف يكون الانكليز اكثر قدرة على ممارسة الضغط على الحكومة الفارسية وهذا سيتيح لهم انتزاع حصتهم من العوائد الكمركية لميناء جمبرون (بندر عباس) . ان الشركة ، واضعة هذه المحصلة بنظر الاعتبار ، خفت بارسال مبعوثها للتداول مع الامام ، بيد ان الاخير ، ولا غرو في ذلك ، رفض فكرة التخلي عن مسقط . وفي عام ١٦٦٧ أيد دي لالن de Lalain ، احد المبعوثين الذين ارسلهم كولبير Colbert قبل هذا التاريخ بثلاث سنوات الى فارس للتفاوض بغية منح شركة الهند الفرنسية des Indes ، فكرة الاستيلاء على مسقط والاحتفاظ بها كقاعدة بحرية . ومن خلال مجرى الاحداث اللاحقة يمكن البت بانه لا توجد هنالك اشارة من شركة الهند الشرقية الانكليزية او دي لالن تدل على وجود نشاطات بحرية(٦) سواء كانت حربية او غيرها من قبل عرب مسقط . ومع ذلك، فان المبشر الفرنسي الشهير، الاب روفائيل دي مان Père Raphaél du Mans الذي مكث في اصفهان مدة ستة وعشرين سنة وقدر له البقاء هناك حتى مماته في ١٦٩٦) قد ابلغ كولبير في ١٦٧٠ الى ما يعانيه البرتغاليون من مضايقات يثيرها عرب مسقط(٧) « الذين نجحوا بفضل السفن التي غنموها في مختلف مقارعاتهم البحرية في الحد من قدرات وامكانيات البرتغاليين في فرض هيمنتهم على البحر . وقام العرب في ذلك العام نفسه ، وبلا ادنى ريب ، بأستخدام السفن المأسورة بغارة على المستعمرة البرتغالية في جزيرة ديو(٨) Diu وفي عام ١٦٧٣ اعلن البرتغاليون الحرب على امام عمان ، غير انهم ورغم احتفاظهم بأسطول في الخليج العربي مستندا الى قاعدته في ميناء كونك Kung (وهو المكان الذي انشأوا فيه مستعمرتهم الرئيسية في فارس بعد طردهم من هرمز عام ١٦٢٢) لم تبدر منهم اية محاولة لمهاجمة اي من الاساطيل العربية او مسقط ذاتها ، وفي الوقت ذاته فان العرب لم يبدو من جانبهم ميلا للقيام بمناورات جريئة . وربما يعزى سبب التردد هذا الى ان كلا من الجانبين لم يكن واثقا من تحقيق النصر المؤزر اذا ما دخل الحرب ضد الطرف الاخر .

قطعت عمان ومعها مسقط في ظل الامام سيف ابن سلطان الاول (الذي توفي في تشرين الاول ١٧١١) شأواً بعيدا في الرقي والازدهار كما وجمع الامام نفسه ثروة طائلة . في عهد سيف ولاول مرة شرع عرب مسقط بشن هجماتهم البحرية ، وفي الوقت ذاته ، دأبوا على الاغارة المستمرة على البرتغاليين ، عدوهم اللدود . وشهدت الفترة بين ١٦٩٣ و ١٦٩٨ سلسلة من الاشتباكات البحرية ، ورغم ان كفة البرتغاليين كانت الراجحة في اغلب هذه الاشتباكات ، بيد انهم اخفقوا في هزيمة العرب بشكل ذريع ، أو على الاقل منعهم من انزال خسائر فادحة على بعض مراكزهم التجارية . وعلى سبيل المثال ، فقد استغل العرب فرصة

---

(٥) تقع مدينة « صحار » الى الشمال الغربي من مسقط وعلى مسافة ٢٠١ كم منها . تبلغ مساحتها زهاء ميلين مربعين وهي ذات مرفا ذو خليج صالح للملاحة البحرية . (المترجم)

(٦) لاعتبارات قومية ، تاريخية وحتى منطقية فقد آثرت استعمال مصطلح « عمليات حربية » بدلا من « اعمال القرصنة » التي اطلقها الكاتب جزافا . ذلك لان العمانيين كانوا يمارسون حقا شرعيا لايقبل الجدل في مواجهة مكائد المغتصب والدفاع عن حرمة بلدهم .

(المترجم)

(٧) أورد سي . شيفر نص هذه الرسالة في الملحق المرقم ١٨ في كتابه الموسوم Père Rophäel du Mans's Estat delo Perse en 1660.

وقد جاء المقطع المذكور اعلاه في متن ص ٣٢٦ .

(٨) جزيرة مهمة تقع في الطرف الجنوبي من كوجرات الهندية عند قاطع خط عرض ٢٠ ٤٢ شمالا وخط طول ٥٧ ٧٠ شرقا

الغياب المؤقت للاسطول البرتغالي في الخليج العربي في منتصف كانون الثاني عام ١٦٩٥ ، فأرسلوا خمس سفن كبيرة تحمل زهاء ١٥٠٠ رجل لمهاجمة كونك . ولما لم تواجه العرب مقاومة تذكر ، فقد نجحوا في نهب وتدمير المستعمرة واسر سفينة ارمنية غنية الحمولة كانت راسية هناك ، وكان مجموع ما غنموه في تلك الغارة يقدر بما قيمته ٦٠٠٫٠٠٠ تومان (وهو ما يعادل في ذلك الوقت ٢٠٠٫٠٠٠ باون تقريبا) وما ان وصلت انباء تلك الغارة بندر عباس حتى دب الخوف فيها خشية من ان تهاجم هي الاخرى وفي الحقيقة فان المصدر الفرنسي(٩) المجهول المؤلف ان كان صادقا فيما اورده فان الامام بعد تلك الغارة كتب الى شاه فارس سلطان حسين مطالبا بنفس الحقوق التي يتمتع بها البرتغاليون في كونك مهددا في حالة عدم الاستجابة لطلبه فانه سيهاجم بندر عباس وينهبها ومهما يكن من امر ، فأن والي بندر عباس كان قد ذعر لذلك الحادث مما دفعه الى التوجه الى الوكيل المحلي لشركة الهند الشرقية الانكليزية واشار الى انه لما كان الانكليز والفرس حلفاء (وليس من شك فأن في هذا تلميح الى العمليات المشتركة التي قاما بها ضد هرمز قشم في ١٦٢٢) فقد اصبح من الملائم جدا الان ان تقوم سفن الاولى بمعاونة الثانية وذلك بصد العرب عند مهاجمتهم المدينة . غير ان الوكيل أحجم عن القيام بعمل ما . وبلباقة لفت انتباه الحكومة الفارسية الى انها قد تلكأت لمدة ثلاث سنوات خلت عن دفع حصة الشركة من عائدات الكمارك في كمبرون .

ومع ذلك ، فقد اخذت الحالة تزداد خطورة وبعد وقت قصير ، حتى ان الوكيل، وخوفا من ان يتحول الفرس الى منافسيهم الهولنديين ، بعد ان خيب الانكليز آمالهم في الحصول على عون ، فقد اقترح على مجلس الشركة في سورات بانه من الضروري بيع الفرس بعض الطرادات الصغيرة . بيد ان المجلس رغم ادراكه بما سيجنيه الهولنديون من امتيازات عظيمة من الشاه كثمن لتدخلهم ، قرر عدم التدخل طالما ان العرب حتى ذلك الحين لم يقوموا بأية اساءة الى السفن او التجارة الانكليزية . وفي ختام عام ١٦٩٥ لم تظهر اية بوادر تشير الى تحسن في الوضع حتى ان الوكيل كابتن برانغ ون (Captain Brangwin) قد اشار الى ان العرب ما فتأوا يعرقلون التجارة الفارسية وتنبأ بانهم(١٠) سيثبتون كطاعون عظيم في الهند كما كان عليه الجزائريون في اوربا .

ورغم ان الهولنديين وكذلك الانكليز قد اثبتوا عدم رغبتهم في ابداء المساعدة ، فان الفرس نجحوا في الحصول على بعض المساعدات القليلة من البرتغاليين . وما ان علم العرب بذلك حتى سارعوا الى الانتقام ، مقسمين اسطولهم الى قسمين ، ارسل الاول الى الساحل الافريقي الشرقي والاخر الى الهند . وفي الوقت الذي قد انزل فيه الاسطول الاول قواته قرب ممباسا Mombasa حيث انتزعها العرب من البرتغاليين بعد حصار دام سنتين ، فقد ابحر القسم الثاني من الاسطول شرقا ودمر المركز التجاري البرتغالي في مانجلور Mangalore وعلى الرغم من رفض وكيل شركة الهند الشرقية اعارة الفرس سفنا ، فقد طلب الشاه حسين من ممثل الشركة في اصفهان تزويده بمساعدة بحرية ضد العرب ، واعدا اياه بان الشركة اذا ارسلت اسطولا وقواتا للتعاون مع قواته على سحق مسقط فانه ، في حالة سقوط ذلك الموقع ، سيمنح الشركة نفس الامتيازات في هذا الموقع كتلك التي يتمتعون بها في جمبرون ونظر لعدم امتلاك الشركة سفنا او قواتا في ذلك الوقت لمثل هذه المخاطرة فما كان من الوكيل سوى ان يقدم جوابا تسويفيا .

ونتيجة لرفض الانكليز والهولنديين ابداء المساعدة وفشل البرتغاليين في تقديم عون فعال ، فقد قررت الحكومة الفارسية في صيف ١٦٩٩ التحول شطر فرنسا طالبة المساعدة . وفي هذا الوقت بالذات وصلت انباء معاهدة كارلوتز Karlowitz الى العاصمة الفارسية كما كان في هذه الاونة في اصفهان بعثة مرسلة من قبل البابا والامبراطور ومن ملوك اوربيين اخرين وانضم الى هذه البعثة التي كانت على وشك ان تغادرها الى الهند ، الاب كوديرو (AbbéGaudereau) المستشرق الفرنسي المعروف . وقد سلم محمد مؤمن ، معتمد الدولة ، الاب مذكرة لنقلها الى السلطات الفرنسية في سورات اعرب فيها علاوة على أمله في اقامة خطوط التبادل التجاري بين فارس وفرنسا، فقد كشف عن رغبته للدخول في حلف مع الاخيرة لاحتلال مسقط. وقد بين بان هذا

(٩) Relation de la Mort de Schad Soliman Roy de Perse et du Couronnement de Seiltan Mssain son fils (Paris, 1696), p. 89.

(١٠) Bruiés Annals of the Honourable East India Compary Vol. i, p. 198.

المشروع يحتاج الى ٣٠،٠٠٠ جندي فارسي واسطول فارسي ليقلهم الى مسرح الاحداث ، كما ارتأى ، اضافة الى ذلك ، ان تكون نفقات الحملة وكل ما سيغنموه من مسقط مناصفة بين الدولتين . وفيما يتعلق بالحصون الاربعة الحامية لمسقط ، ففي الوقت الذي سيمنح فيه الحصنان الواقعان في اليابسة لفارس ، فان الحصنين المطلين على البحر (والمسميان الجلالي والماراني) سيكونان من حصة فرنسا .

على الرغم من ان هذه الاقتراحات تعد بمثابة صفقة جيدة اكثر سخاءا من تلك التي سبق وان منحت للانكليز غير انها بقيت مجرد حبر على ورق . حيث ظهر اولا ان هذه المذكرة لم ترسل اصلا من سورات الى فرساي (اذ ليس لها ثمة اثر في ارشيف وزارة الخارجية ، وكان على كوديرو بعد مضي خمس عشرة سنة تالية ان يقدم الى السلطات الفرنسية محتواها حينما كان السفير الفارسي محمد رضا بك على وشك ان يستقبله الملك الفرنسي ووزراؤه وثانيا حتى لو سلمنا بوصول هذه الوثيقة الى فرنسا ، فليس من المرجح ان تكون لدى الحكومة الفرنسية الرغبة او القابلية للموافقة على طلب الشاه ، حيث ان فرنسا في عام ١٧٠١ كانت متورطة في حرب الوراثة الاسبانية وانه لم يكن بامكان فرنسا البت بالموضوع بشكل جدي الا بعد توقيع معاهدتي اترخت Utrecht وراشتات Rastatt (كما سنرى ذلك) . صحيح انه في ١٧٠٨ عندما كان المبعوث الفرنسي ميشيل Michél يفاوض في اصفهان لعقد معاهدة صداقة وتجارة ، فان الفرس اثاروا قضية حلف مسقط ، بيد انهم لم يفعلوا ذلك تحريريا ، كما وخلت المعاهدة التي وقعت فيما بعد من اي بند له علاقة بالقضية .

في هذا الوقت بالذات ، فان العرب ، وقد شجعتهم انتصاراتهم المتلاحقة ، اصبحوا على حد تعبير رئيس شركة الهند الشرقية في بومبي(١١) «شديدي الغطرسة ولا يوجد ما يثني عزمهم من القيام بهجمات على كافة السفن ماخلا سفن الشركة لقناعتهم بانهم اقوى من ان يهزموا» . وفي مستهل عام ١٧٠٥ ابلغ مجلس مدراء شركة الهند الشرقية رئاسة الشركة في بومبي بان نشوب الحرب في اوربا وحده الذي حال دون حصولهم على المقاتلين لتطهير البحار من القراصنة او ارسال الجند الى الحامية في بومبي، وانهم ما ان تضع الحرب اوزارها ، حتى يبذلوا قصارى جهدهم ليس لاعادة الهيبة العسكرية الى الحامية فحسب ، بل سيعدون السفن الحربية المسلحة لتطهير البحار وقلع شبكة(١٢) «هجمات عرب مسقط من جذورها » وفي آذار من ذلك العام هاجمت سفينتان مسقطيتان سفينة الشركة مرقل Murvil عندما كانت في طريقها من الهند الى الخليج العربي وتمكنوا من اسرها بعد معركة حامية(١٣) . لقد كانت هذه هي المرة الاولى التي يتعرض فيها العرب الى احدى سفن الشركة . ورغم هذه الحادثة ، فقد تمكن الكابتن شارلز لوكير Captain Charles Lockyer من زيارة مسقط في ايار التالي واشار بان المكان قد : ـ تحسن تحسنا مضطردا منذ ان انتزعه العرب من ايدي البرتغاليين حتى انه اصبح مصدر قلق لكافة المتاجرين مع الهند ، ثم اردف قائلا : ان السفن الحربية كان **تصنع في سورات حيث يوجد هناك ما مجموعه : اربع عشرة سفينة حربية وعشرون سفينة تجارية، وكانت تحوي احدى هذه السفن سبعين مدفعا ، ولا يوجد من بين هذه السفن الحربية جميعها من تحمل اقل من عشرين مدفعا ... ورغم ان البارود كان شحيحا فان العرب كانوا من اكثر سكان العالم تبذيرا له وفي كافة المناسبات ..... لقد كانت الألوان الحمراء هي المفضلة لديهم حيث تتجلى في راياتهم وصواريهم وعارضات اشرعة سفنهم وفي كل الاماكن البارزة الاخرى من سفنهم ، كما كان للاسطول العربي مظهرا اخاذ عند دخولنا المرفأ وللوهلة الاولى(١٤) .**

لقد توفى الامام سيف بن سلطان الاول في عاصمته الرستاق في الرابع من تشرين الاول سنة ١٧١١ ، وفاقه خلفه ، سلطان بن سيف الثاني ، في تقوية الاسطول وشن الحروب على اعدائه . وبعمله هذا فانه لم ينفق كل ما ادخره اسلافه من اموال فحسب ، بل تعداه الى اقتراض اموال الجوامع والاوقاف(١٥) وكان عدوا لدودا للبرتغاليين والفرس .

لقد اعطى الكابتن الكسندر هاملتون

---

(١١) Bruce, op. Cit., Vol. iii, p. 439.

(١٢) Ibid., Vol. iii, p. 537.

(١٣) Charles Lockyer, An Account of Trade in India, p. 209.

(١٤) Ibid., p. 207.

(١٥) C. Guillain, Documents sur l'Histoire et le Commerce de l'Afrique Drientale, part 1, p. 526.

Captain Altexander Hamilton (١٦) ، الذي كان في مسقط عام ١٧٢١ ، الوصف التالي لما كان عليه الاسطول العربي من قوة في عهد سلطان بن سيف (المتوفى في ٢٠/نيسان/١٧١٩) : (١٧)

كان الاسطول العربي عام ١٧١٥ يتكون من سفينة تحمل اربعة سبعين مدفعا ، وسفينتين تحملان ستين مدفعا وواحدة بخمسين مدفعا وثمان عشرة سفينة صغيرة تحمل مابين اربعة الى ثمانية مدافع لكل منها . وبفضل هذه القوةالبحرية فرض العرب هيبتهم وسيطرتهم على كافة السواحل البحرية الممتدة من رأس قمران حتى البحر الاحمر . وكان العرب غالبا ما يشنون غاراتهم ضد المستعمرات البرتغالية على ساحل الهند ، منزلين الدمار بالقرى والضياع، تاركين الكنائس في منجى من هجماتهم .... ولم يقتلوا اعزلا ، بل كانوا يعاملون اسراهم معاملة حسنة ... وظلت اوار الحروب مستعرة حتى بعد ان انتزع العرب مسقط من ايدي البرتغاليين ، ورغم ان النصر كان حليف العرب في اغلبها فقد كانوا مكرهين على شراء السفن الحربية لمقارعة البرتغاليين في البحر وللحفاظ على سواحلهم بمنأى من الاعتداءات . وكانت اساطيلهم غالبا ما تتقابل وتحدث مقارعات بحرية ومع ذلك فان قليل من السفن الحربية لكلا الجانبين كانتغرق او تؤسر . اما السفن التجارية للجانبين فقد كانت عرضة للاسر . وعلى الرغم من ان البرتغاليين كانوا يسومون اسراهم سوء العذاب وكانوا يسخرونهم في الاعمال الشاقة ويجبرونهم على تنفيذ الاوامر بقوة السياط ، فقد كان العرب يعاملون اسراهم بمنتهى الانسانية ، وكانوا غاية ما يفعلونه هو حجز اسراهم في سجن جماعي دون ان يسخروهم في الاعمال الشاقة ، وكذلك كانوا يمنحونهم بدل الارزاق كتلك التي يتقاضاها جندهم .... واذا وجد بين البرتغاليين صناع بارعون او اصحاب مهن ، فانه قد يسمح لهم ، بحرية ممارسة مهنهم ، كي يتسنى لهم جمع المال اللازم لفك اسرهم.

لاغرو اذا ، ان الفرس بعد اعتلاء هذا الامام الهمام كانوا سيلجأون ثانية الى الفرنسيين طالبين العون . ولما كانت حرب الوراثة الاسبانية وضعت اوزارها مؤخرا ، فقد اصبح من المحتمل ان يكون لدى فرنسا الرغبة والقابلية لابداء المساعدة . من هذا المنطلق ، بعث البلاط الفارسي محمد رضا بك كسفير لفرنسا بغية ضمان المصادقة على المعاهدة التي ابرمها ميشيل Michael في ١٧٠٨ ، هذا في ظاهر الامر ، غير انه في الحقيقة كان يروم الحصول على عون بحري فرنسي ضد عرب مسقط . وفي تشرين الاول عام ١٧١٤ ، حط المقام بـ محمد رضا بك في مرسيليا بعد رحلة محفوفة بالمخاطر ، ولم يصل باريس الا في السابع من شباط من السنة التالية . وفي خلال محادثاته مع ممثلي الحكومة الفرنسية ، احجم بحذر عن تدوين اي شيء له علاقة بمشروع مسقط في مذكرة «واقتصر الحوار على الكلام الشفوي(١٨) اما العرض الذي خول بتقديمه فهو لا يختلف عن العروض التي تضمنتها المذكرة التي اعطيت الى الاب گودرو Abbé Gaudereau في عام ١٦٩٩ . لقد استغل المتفاوضون الفرنسيون ، الذين كانت غايتهم الاساسية ضمان معاهدة جديدة ذات شروط اكثر ايجابية من اتفاقية ميشيل لعام ١٧٠٨ ، الى حد بعيد ، التعهد بتقديم يد العون في قضية مسقط. لانتزاع تنازلات جديدة من السفير . ولقد ابلغوه بان المسألة ليست من السهولة بحيث يمكن البت بها وانه من الضروري ارسال مندوب خاص الى البلاط الفارسي لمناقشة التفاصيل . وبسبب الخبرة والدراية الواسعتين اللتين كان يتمتع بها كابتن بحري يدعى جيرالدن Geraldin ، فقد تم اختياره كسفير وكانت اوامره تقضي ضرورة دراسة الظروف في فارس وتمحيص الاجراءات

---

(١٦) من الضروري ان نميز بينه وبين Alexendar Hamilton الذي كان يعمل في شركة الهند الشرقية ايضا والذي اعتقل بعد قرن من الزمن في باريس اثناء الحروب النابليونية ، كما وقد علم رفاقه السجناء اللغة السنسكريتية وكان من بينهم (شليجل) الشاعر والفيلسوف الالماني الشهير .

(١٧) A New Account of the East Indies (London, 1930) Vol. i, pp. 50 and 51.

(١٨) Papiers de Padery, in the Archives Nationales Paris (A.F.IV, 4e dossier, Vol. 32b).

المزمع تداولها مع الفرس بدقة متناهية بغية ضمان النجاح. كما كان على اتينه بادري Etienne Padery الفرنسي الطبيعي والمنحدر من اصل شرقي اغريقي والذي عمل لمدة خمسة وعشرين سنة في السفارة الفرنسية في القسطنطينية كما ورافق محمد رضا بك الى اوربا ، مصاحبة جيرالدن والعمل كمترجم ومعاون له . غير ان وفاة لويس الرابع عشر (في الاول من ايلول عام ١٧١٦) ، وعندما كان جيرالدن على وشك المغادرة الى فارس ادت الى عرقلة المهمة. حيث ان احدى النتائج التي تمخضت عن وفاة الملك العجوز هو الغاء امر تعيين جيرالدين . ان محمد رضا بك عندما ترك فرنسا بعد وقت قصير كان قد حمل معه الى بلاده ، والحق يقال ، معاهدة صداقة وتجارة جديدة ، غير انه لم يحقق شيئا ملموسا له علاقة بموضوع مسقط الذي هو الهدف الاساسي لمهمته . الا انه لم يصل قط اصفهان ، حيث انه ما ان وطأت قدمه التربة الفارسية حتى وصل الى سمعه بان نصيريه محمد مؤمن وخان يريفان قد اقيلا من منصبيهما ، وادراكا منه بانه قد جاوز صلاحياته في قضية المعاهدة الجديدة (والتي كانت لصالح فرنسا) ، عليه فلم يجد بدا غير الانتحار . ورغم ان اونج دي كاردا Ange de Gardane ، الذي التحق بالبلاط الفارسي بعد وقت قصير من مغادرة النكد محمد رضا بك ، لم يحمل معه اية تعليمات لها صلة بمسألة مسقط ، فقد ظهر جليا فيما بعد بان الفكرة لم تغب ، وفي اي وقت ، عن مخيلة الحكومة الفرنسية. ذلك لان الوثيقة الموسومة بمذكرة شؤون فارس Mémoire Pour les Affaires de Perse والمحفوظة في ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية Quai d'Oray (١٩) تدل على ان موضوع مسقط قد عولج بروية وطول اناة ، كما وكان هنالك تأكيد كبير على ما تعانيه القوة البحرية الفارسية من نقص تام في الاسطول ، وقد جاء فيها بأن الشاه :

« لا يمكنه منع الامام الصغير (امام عمان) ، الذي يروم نهب الموانىء الفارسية ، بندر عباس ، كونك ، والهيمنة على جزيرة البحرين الشهيرة بصيد اللؤلؤ . عليه فان ملك فارس يتطلع الى الدخول في حلف مع فرنسا للاستيلاء على مسقط ». ثم اعقب ذلك نفس الشروط التي ذكرت آنفا . بعد ذاك ، يسترسل كاتب تلك المذكرة مميطا اللثام عما كانت ستجنيه فرنسا من فوائد جمة فيما لو نجحت في وضع الخطة موضع التنفيذ . ذلك لان الفرنسيين كانوا سيحصلون على نفس الامتيازات في الخليج العربي كتلك التي كان يتمتع بها البرتغاليون سابقا ، غانمين ثروة طائلة من عوائد السفن ومشاركين (الحكومة الفارسية) صناعة اللؤلؤ في البحرين . اضافة الى ذلك فان الفرنسيين بامتلاكهم مسقط (حيث لم يرد اي ذكر لمشاركتهم السلطة مع الفرس هناك) سيصبحون السادة على طرق التجارة العربية كافة وكذلك تلك التي مع الهند وقسم كبير من التجارة الفارسية . كما وان سقوط ممباسا(٢٠) Mombasa بايديهم سيمهد فتح الطريق امامهم الى اثيوبيا .

اصبح ، بعد فترة وجيزة ، لمخاوف الفرس من قيام قوات الأمام بالاستيلاء على جزر البحرين ما يبررها ، حيث جرد سلطان بن سيف عام ١٧١٧ حملة على تلك الجزر وفيما يبدو فانها انجزت واجبها بسهولة . وفي ذلك العام ذاته بسط العرب سيطرتهم على جزيرتي قشم ولاراك وضربوا الحصار حول حصن هرمز في كانون الاول . وكما حدث في السابق ، فان الفرس قد غلبوا على امرهم بسبب النقص في اسطولهم . وعليه فقد بات من المحتم في ذلك الحين بانهم على وشك ان يفقدوا هرمز . وبهذا فقد صار العرب اسياد مدخل الخليج(٢١) بعد ان اصبحت قشم ولاراك بحوزتهم وبفضل قواعدهم الممتدة على الساحل العربي .

لقد ذعر الشاه ذعراً شديداً لمثل هذه التطورات المذهلة ولذلك خف الى البرتغاليين ناشداً العون . وإستجابة لاستغاثته ، فقد ارسلوا

---

(١٩) A.E., Perse, Vol. V, fols. 123b-126a.

تعتبر التقارير القنصلية الفرنسية من المصادر المهمة في كتابة تاريخ البلاد العربية في العهود العثمانية وخاصة منذ اوائل القرن الثامن عشر وذلك بسبب دقتها بالتفاصيل السياسية التي تعطيها . وتوجد التقارير القنصلية التي تتعلق بالفترة قبل سنة ١٧٩٣ في دار الوثائق الوطنية في باريس وقد صدر في تلك السنة قرار من حكومة الثورة الفرنسية نقل مسؤولية الاشراف على القنصليات من وزارة البحرية وغرفة تجارة مرسيليا الى وزارة الخارجية الفرنسية وعلى هذا فالتقارير القنصلية التي تعود الى الفترة بعد سنة ١٧٩٣ توجد في مقر وزارة الخارجية الفرنسية في باريس (Duai d'Orsay) .

(المترجم)

(٢٠) ممباسا Mombasa هي احدى الموانىء الهامة الواقعة على الساحل الشرقي الافريقي في تنجانيقا (تنزانيا) حالياً .

(المترجم)

(٢١) Nouvelles de Perse, September 15, 1718, in A.E., Perse, Vol. V, fols. 192b.

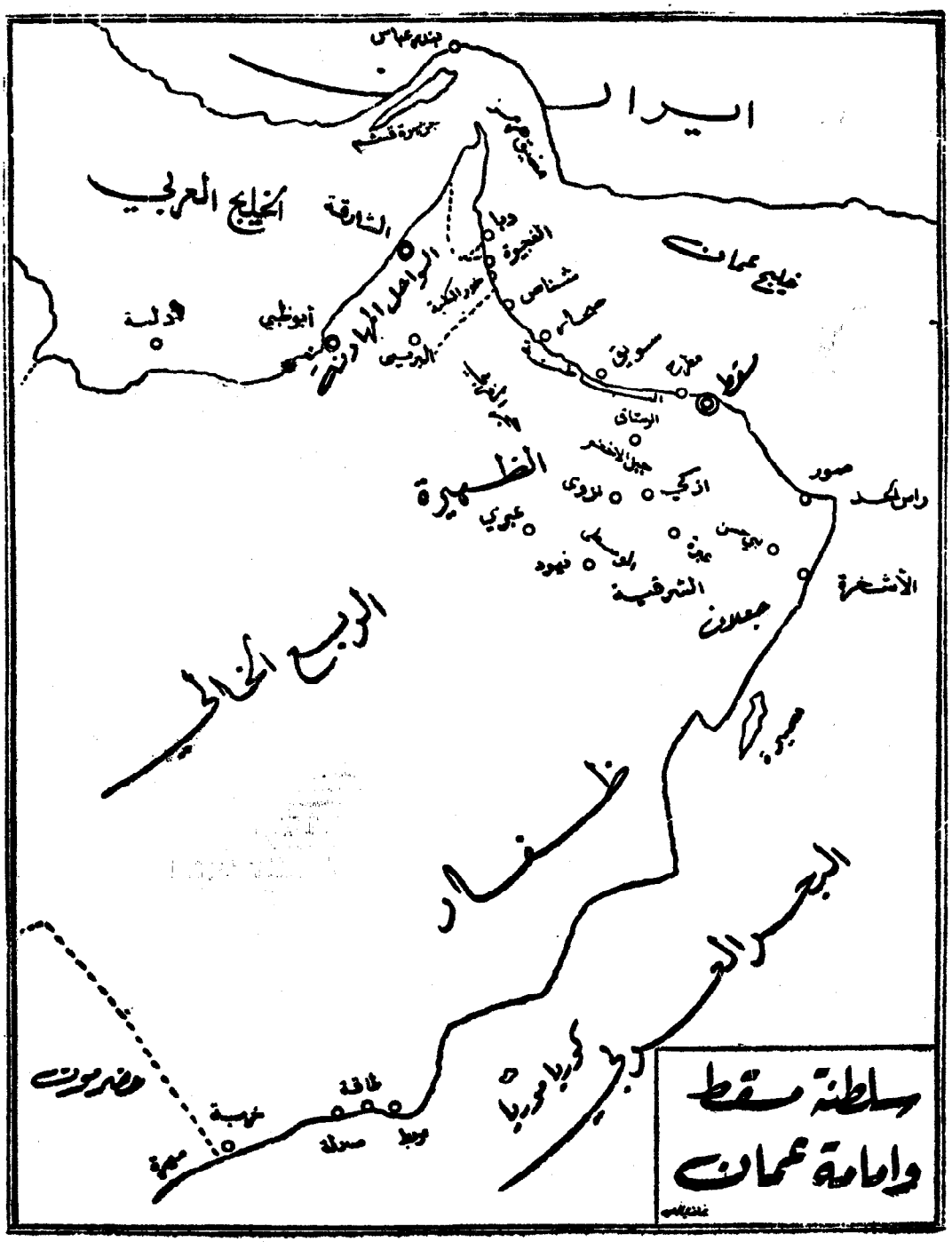
ايران
الخليج العربي
الشارقة
دبا
الفجيرة
خليج عمان
أبوظبي
دبي
مسقط
مطرح
السيب
الرستاق
الظاهرة
جبل الأخضر
ازكي
نزوى
عبري
بدبوسن
عبرة
الرمس
فهود
الشرقية
صور
رأس الحد
الأشخرة
جعلان
الربع الخالي
ظفار
البحر العربي
بحيرا موريا
حضرموت
طاقة
مرباط
مرمولة
سيحوت
سلطنة مسقط
وامامة عمان

في مايس او نيسان عام ١٧١٨ ثمان سفن الى كونك أقلت قوة فارسية الى البحرين ، ويبدو أن الفرس قد واجهوا صعاباً قليلة في إستعادة تلك الجزر كما كان حال العرب عند بسط سيطرتهم عليها في السنة الماضية كما وافلحوا في تموز ١٧١٨ وبلا ادنى ريب بفضل مساعدة البرتغاليين البحرية في فك الحصار المضروب حول هرمز . وقد لبى حاكم غوا Goa (٢٢) طلب آخر من الشاه ووعد بارسال اسطول يحتوي على ست سفن حربية وسفينتين حراقتين لتدمير اسطول مسقط الحربي(٢٣) والاستيلاء على المدينة ذاتها . غير انه حدث نوع من التأخير في ارسال هذه السفن الى الخليج العربي وربما يعود السبب الى الخلاف الذي دب بين البرتغاليين والفرس حول شروط الدفع(٢٤) . وفي صيف عام ١٧١٩ وصل هذا الاسطول او طلائع منه كونك . ورغم انه لم تبدر منهم اية عمليات مشتركة ضد مسقط ذاتها ، فان البرتغاليين قد انزلوا هزيمة بالاسطول العربي واجبروه على الألتجاء الى راس الخيمة . كما وكانت الغلبة للبرتغاليين في عملية حربية لاحقة على ذلك الميناء .

لقد كانت الفرصة مؤاتية للقيام بهجوم مدبر على مسقط رغم ان كلا من الفرس والبرتغاليين لم يفطنوا الى ذلك حيث ان وفاة المهيب سلطان بن سيف في ٢٠ نيسان ١٧١٩ نجم عنه إندلاع الحرب الأهلية بين الطامعين المتنافسين على الأمامة وترتب على ذلك إفول في القوة العمانية . بيد ان هذه الفرصة لم تستغل وكنتيجة لفشل البرتغاليين والفرس الدائم في التوصل الى اتفاق ، فقد ترك الأسطول البرتغالي الخليج العربي في تشرين الأول دون ان يحقق شيئاً ملموساً .

إن الحكومة الفرنسية ادراكاً منها بامكان إستغلال التعهد بتقديم العون البحري ضد مسقط كوسيلة لاقناع الحكومة الفارسية بضرورة تصديق معاهدة ١٧١٥ (التي اخفق كاردن Gardane في ارامها) ، فقد أرسلت أتينيه بادري Etienne Padery الى فارس في ربيع عام ١٧١٩ في مهمة مزدوجة كمفاوض فيما تخص مسألة مسقط وكنقصل في شيراز . وكانت التعليمات التي سلمت إليه قبل مغادرته تلزمه بضرورة التفاوض مع حكومة الشاه فيما يخص الأستحواذ على مسقط وفقاً للأقتراحات التي قدمها محمد رضا بك الى لويس الرابع عشر . كما تم التأكيد على ان يرسل الشاه الى فرنسا المبلغ الكافي لتمويل الاسطول ويضع على اهبة الاستعداد ٣٠،٠٠٠ رجل او اكثر اذا اما اقتضى الامر ذلك(٢٥) .

ولقد تأخر بادري بضعة شهور في شماخي بسبب الاضطرابات في مقاطعة شيروان ولهذا فانه لم يصل قزوين (مقر البلاط الفارسي آنذاك) إلا في آب عام ١٧٢٠ . وبعد وصوله بوقت قصير عقد لقاءاً خاصاً مع إعتماد الدولة فتح علي خان الداغستاني والذي سأله فيما اذا كان يحمل رسالة او مذكرة ما من حكومة فرنسا بخصوص مسقط ، وقد أردف بادري بالقول ان الحكمة تقضي عدم تدوين مثل هذه الامور في مذكرة .

مكث بادري في البلاط شهور عدة علم خلالها بان الفرس يرومون ثانية التوصل الى اتفاق مع البرتغاليين حول مسألة مسقط ، وحسب مايدعيه فقد كان اداة فعالة في احباط تلك المفاوضات . ولما كان اعداء علي خان في البلاط كثيرين ونظراً لعدم وجود شعبية للبرتغاليين ، فليس بعيداً ان يكون بادري قد نجح حقاً في إجهاض تنفيذ مثل هذا المشروع . وفي التاسع من كانون الاول ١٧٢٠ اقنع متربصو علي خان الشاه الساذج بان الوزير يكيد المؤامرات ضده ، وتسببوا في اقالته من منصبه الرفيع ومن ثم القاء القبض عليه بتهمة الخيانة . وبعد فترة وجيزة ، عندما كان بادري في طريقه لتسلم منصبه كقنصل في شيراز ، التقى صدفة بـ لصف علي خان ، ابن اخ فتح علي خان ، والذي عهد اليه بمهمة قيادة العمليات الفارسية ـ البرتغالية المزمع شنها على مسقط ، كما ونجح حديثاً في انزال هزيمة نكراء بالأفغانيين الغلز ، واذا سلمنا بما يرويه بادري فانه ما ان أطل اليوم

---

(٢٢) غوا Goa ، ميناء على ساحل مالاباد الهندي الواقع في غرب الهند عند قاطع خط عرض ٢٠ ـ ١٤ شمالا وخط طول ٧٤ شرقا

(المترجم)

(٢٣) ان ما كان يقوم به ابناء مسقط من دفاع عن قدسية تربة بلدهم لاتعد باي شكل من الاشكال عملا من اعمال القرصنه التي داب كاتب البحث على لصق مثل هذه الصفه باولئك المناضلين ، وعليه ولاسباب منطقية وتاريخية وقومية فقد عمدت الى عدم استخدام مصطلح « القرصنة » واستعملت بدلا عنه ماجاء اعلاه . (المترجم)

(٢٤) Report by Gardane dated October 30, 1919, in A.E., Perse, Vol. V, fol. 251a.

(٢٥) A.E., Perse, Vol. V, fols. 252b-256b.

التالي حتى كان لطف علي خان قد القـي القبض عليه وأهين كما وسرح جيشه(٢٦) .

على الرغم من فشل البرتغاليين والفرس المتكرر في التوصل الى وفاق حول مسألة مسقط فقد عمدوا الى محاولة أخرى في مطلـع صيف ١٧٢١ . وفي العاشر من حزيران بعث كاردن بتقرير من اصفهان اكد فيه ان على الفرس دفع ٢١٫٠٠٠ ايكوس (زهـاء ١٫١٥٠ باون) الـى البرتغاليين كثمـن لخدمتهم السالفة وبغية اقناعهم بضرورة ارسال السفن اللازمة للحملة المؤمل القيام بها ضد مسقط(٢٨)

ومما لايرتقي اليه الشك ، ان بادري قد علم في ذلك العام بهذه التطورات ولهذا ترك عملـه في شيراز وحث خطاه الى العاصمة رغماً عن رغبـة كاردن (لايوجـد ود بين الأثنين) ، ونجح حـال وصوله في اجراء مقابلة ناجحة مع اعتماد الدولة الجديد محمد قلي خان . واشار كاردن في كتاب ارسله الى حكومته انه قد تطرق الى سمعه بان بادري قد وعد الفرس ثانية بتجهيز واعداد كل من السفن الملكية وسفن الشركة لمغامرة مسقط ، واضاف بانه (اي كاردن) يخشى من ان العرب قد «يعمدون الى الانتقام ويهاجمون السفن الفرنسية اذا ما سمعوا بالامر(٢٩) . هذا وقد نجح بادري في عقد اجتماع آخر مع محمد قلي خان ، جرى التداول فيه حول كل من مغامرة مسقط وتصديق معاهدة محمد رضا بك . وفيما يخص مسـقط فقد تـم الاتفاق على ان يكاتب الشاه لويس الرابع عشـر بشأن مايجب اتخاذه من اجراءات، وتم الاتفاق ايضاً على ان يقوم الفرس باعداد القوة البرية اللازمة في حالة إمداد فرنسا اياهم بعشره الى اثني عشرة سفينة حربيـة . كما الـزم الأتفـاق القادة الفرسـ والفرنسيين بضرورة العمل معاً في توافق وانسجام. اما فيما يخص الغنيمة التي سيستحوذون عليها فقد ارتأى الجانبان ان تقسم بينهما مناصفة فان لم تكن ذا قيمة فيترتب على الشاه حينذاك تغطية الفرق .كما والزم الأتفاق الفرنسيين اهمية احاطة الفرس علماً بارسال الأسطول قبل خمسة او ستة اشهر كي يتمكنوا من اعداد الجيش اللازم للحملة وجمع التجهيزات ايضاً . هذا وقد اعلن الشـاه في الوقت نفسه عن عزمه لتصديق معاهدة ١٧١٥ .

ورغم ان الفرنسيين قد نجحوا في نهاية المطاف من تحقيق مرماهم ودون مقابل ، فان ذلك النجاح لا يعدو كونه مجرد هواء في شبك . ذلك لان استيلاء الافغانيين على اصفهان في تشرين الاول ١٧٢٢ نجم عنه سقوط السلالة الصفوية وبسبب الأضطرابات التي سادت فارس لسـنوات عدة ، فان التجارة الفرنسية وكذلك الحال بالنسـبة الى التجـارة الانكليزية والهولندية مع فارس قد اصابها الركود الى حد بعيد. وبهذا فان معاهدة ١٧١٥ قد اصبحت حقاً مجرد حبر على ورق .

وإذا عدنا الى عمان فان اندلاع أوار الحرب الاهلية بين قبيلتي الهناويين والغافريين(٣٠) على اثر وفاة الأمام سلطان بن سيف الثاني تمخض عنـه استنزاف قوة البلد ونجم عن هذا افول عظيم في نشـاطات عرب مسـقط البحرية . وكان لهبوب العاصفة العاتية في آب ١٧٢٣ اثر بليغ في الحد من قابليتهم الهجومية على السفن التجارية . ومنـذ ذلك الحين ، فقد اصبحت هجماتهم على السفن في الخليـج العـربي والمناطق المتاخمـة له نادرة ومشتتة ، حتى إنها تلاشت نهائياً عام ١٧٣٧ عندما اتخذ نادر شاه من تدهور الوضع في عمان ذريعـة للتدخل وإحتلال السلطنة مؤقتاً . وبذا فقـد همدت خطورة مسقط .

---

(٢٦) A.E., Perse, Vol. Vi, fol. 400b.

(٢٧) من الجلي ان المبلغ المذكور مبالغ فيه الى حدما .

(٢٨) Ibid., Vol. Vi, fol. 70a.

(٢٩) Ibid., Vol. Vi, fol. 108a.

* ان ما ترتب على تسريح هذه القوة من نتائج تعد حقا بمثابة ماساة قاسية لبلاد فارس .

(٣٠) ارى من المهم ان اشير الى انه في مطلع القرن الثامن عشر انقسم العمانيون على انفسهم وظهر نتيجة لذلك تكتلان قبليان : احدهما يسمى الغافرية وينتسب الى العدنانيين او عرب الشمال ، وتكتـل قبلي ثان أطلق عـلى نفسـه بالهناوية الذي ينتسب الى القحطانيين او عرب الجنوب . ومن الجدير بالذكر ان عرب الجنوب (اعني الهناويين) كانوا من اول الوافدين على عمان واستاثروا بالسلطة ردحاً طويلا مـن الزمن ، بيد انه بمرور الزمن ، فقـد بدات زرافات من عرب الشمال الغافريين بالوفود على عمان . وعلى الرغم من اختلاط وتمازج هذين التناسقين فقد بقيت العصبية القبلية بمثابة عقبة كاداء تعيق قيام تآلف واتحاد تام بين هاتين القبيلتين ، وقد تمخض عـن ذلك ان داب كل تكتل على ان يتربص بالتكتل الآخر الدوائر ويتطلـع بنهم عجيب الى الاستئثار بالسلطة . (المترجم)

Summary

The Menace of Muscat and its Consequences in the Late 17th and Early 18th Centuries.

By Laurence Lockhart.

Translated by Ala' Eddin A. Hussain

This is a new translation of Lockhart's article which orriginally appeared in **Asiatic Review**, 42 : 363-369, October 1946. In his footonotes the translator justifies his changing certain terms, such as "Oman" instead of "Muscat", which were used in the original article. Not only this, but the translator refuted some accusations and misunderstandings that the writer intentionally used to express in his article.